نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية:

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق الموانئ البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب. في العصور السابقة والخليجاء، أصبح الآن من أهم الموانئ البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما توجد أيضاً من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شرائح مائية، ينقل البترول من مناطق استخراجه في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، الولايات المتحدة الأمريكية، والصين وأسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول في الخليج العربي، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، يسبب الامتياز النفطي المتزايد في أوروبا وأمريكا وأسيا، أصبح البحر الأحمر، بميزاته وخصائصه الجيوبيوتبتية، أكثر محارب انساخيخب البحري، وهي ثروة للتجار والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقا حيويا لنقل البترول، ومعبر للتجارة العالمية، وطريقا مختلفا لتفوق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الزيادة، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الأفريقي جنوبا، كما ارتبط بفترة النوس، شملاً، ارتبطا عضويًا أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محور أنظار المخططين السياسيين والصبريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام وأضعيف القرار السياسي؛ ومحور صراعات متقدة بين القوى الدولية المتانسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصاعدة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من مدخله الشمالي عند النوس، إلى مدخله الجنوبي عند باب المنذب والقرن الأفريقي - ظل ولازماً يلعب دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر، وخليج عن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.
1) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن 17 بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة.

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البين.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عامًا. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي والمملكة، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية إلى ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية:

1- إرسال قوة حربية بريطانية إلى الساحل الشرقي لمصر، لمواجهة التوسع الفرنسي.
2- التواجد العسكري في مدينة عدن والجوف العربي، كموقع استراتيجي هام في البحر الأحمر على باب المنبج وخليل عدن، لمراقبة السفن البريطانية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عقدت بريطانيا أول معاهدة تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، وسيطر على مينائها الاستراتيجي، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة تموين السفن بالحمم، خاصة وأن ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بمبئي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينيس روي بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية
هامّة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلاً: "إن الخروقات العظيمة لقرارات عدن يمثّل من القيادات والإمكانيات ما لا يمكنه مثيل آخر في الجزيرة العربية. إن ازدهاره لشتات وأن يقضي على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجاريًا ممتازًا لشتات أنفسه. أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البوارج وتموينها في كل فصول السنة.

ومن العوامل التي سرعّت بالاستيلاء البريطاني على مدينة عدن، ودول الجنوب العربي، وجد جيش محمد علي باشا حينها، في تهامة وأوساط اليمن، والذي دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية في الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصة إذاً إذا ما استولى على مدينة عدن أو اقتحم وسط الطريق البحري إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته قائلاً: "إن محمد علي باشا التوسعة في الجزيرة العربية يجب أن تكبّق قبل أن يستسلم أمرها.

إن تجارة بريطانيا الخارجية في حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية يحسن اختيارها. ويقوم بتراميمها الأسفلت الملكي البريطاني الكبير.

وفي 19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية. بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة. وكان ذلك بداية التواجد العسكري، والسياسي البريطاني المباشر في مدينة عدن.

ودول الجنوب العربي، حيث تم بعد ذلك في 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلسلة لحج، وتولت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمراء وسلاطين ومشيخة درويات الجنوب العربي، والواقعين في كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالي لهم والمفتيهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، تعتزم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية في المنطقة، فاستولى الفرنسيون على جزيرة ميون عام 1856، خوفاً من وقوعها بين الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبك على الساحل المصري المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بين البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مزدوجة، بحيث فتحت مصر، في الأعوام 1868-1867، تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأتراك، مما زادها ازدهاراً وشهرة. في عام 1869 تم افتتاح قناة السويس في مصر، وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزداد مور السفن في ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالآليات والآليات المختلفة، وزادت السباحة، وعقد الاتفاقات التجارية والإنشتائية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات سلطات
ومشيختات دوليات الجنوب العربي، وخاصةً سلطنة يافع، وكذلك ابن الآتي من اليمن.
وكان ذلك موارد خزانة السلطنة العبدلية، في لحج يأتي من معاملة سلطنة العبدل في
لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدل في لحج، حينها، المتعادل والمحكر
الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالحضايا والزوارق ومياه
الشرب، والحشائش، وأعلاف المواشي، والملج والأياد العاملة. كما لعب السلطان العبدل في
لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة في عدن، ممثنة بالمعتمد
السياسي البريطاني وبقية سلطانتين وأمراء ومشيخ الجموع العربي؛ الذين كانوا بمثابة دوليات
صغيرة مستقلة، كانت تتم عبره إلىهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهانز مستقلين بشؤون الإمارات والسلطانتان والمشيخات، في
دولات الجنوب العربي؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهانزهما:
1- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخليفة المجرد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت
مهماً في القيام بجهود استطاعية متكررة إلى إمارات وسلطنتان ومشيخات دوليات الجنوب
ال العربي، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.
2- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسي البريطاني في عدن، وهذه الدائرة
كانت المخططة والنفاذة للسياسة البريطانية، لتعمل مع القبائل داخل إمارات وسلطنتان
ومشيخات دوليات الجنوب العربي، وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة
المملكة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع
المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكري
المباشر فيها، أو في بعضها؛ إلا أن تقديم الحماية والدعم. إلا أن هذه السياسة اختلفت بعد احتلال
الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك في ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكلون خطرًا
باشرًا على النفوذ البريطاني في المنطقة، وعلى دوليات الجنوب العربي.

2) الصراع البريطاني العثماني في الجنوب:

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تم الخطوط الحدودية إلى كل من
العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح التركيا وجود قوي على ساحل تهامة
باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالي حاليًا (في عام 1872 بشكل كامل).
وهذا هو الاحتلال التركي الثاني لليمن الذي دام خلال الأعوام 1918-1872. كما كان
الاحتلال الأول التركي لليمن خلال الأعوام 1635-1533، ويرغم وجود الأتراك باليمن حتى
عام 1870، وعلى التماس المباشر مع البريطانيين الموجودين في الجنوب العربي وعدن، إلا أنّ
البريطانيين لم يكن يقتلهم الوجود التركي في اليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على التفوق البريطاني في المنطقة. بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن، فإن الجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مصماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطات والمشيخات الصغرى المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مصماً حينها هو الآخر بين الأتراك في صنعاء، وأمراء آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأ إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها، وإخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1918-1872، إلا أن الأوضاع الدولية والمحليّة، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمتة مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تم فتح قناة السويس عام 1869، وذلك زادت أهمية عدن الاستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمراء وسلاطين ومشيخات دولات الجنوب العربي. ونص ذلك السياسة أن تدفع بريطانيا مركبات شهيرة وسنية، لسلاطين وأمراء ومشيخات دولات الجنوب العربي، وتوفر المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطاني غير المباشر عليها، وإبقاء الطريق إلى مستمرة عدن أهمية ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطانات والإمارات والمشيخات بيد أطراف خارجية.

أما وبعد أن أصبح الأتراك، المحترفين لليمن، على مقرية من حدود الإمارات والسلطات والمشيخات المكونة للجنوب العربي، بدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطانات ومشيخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كل من قطبة والحجرية وماوية، فقد اتبعت البريطانيون سياسة جديدة ونظاماً جديداً - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. وينبغي نظام الحماية هذا - أن سلاطين وأمراء ومشيخات دولات الجنوب العربي عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين، ضماناً أن أنفسهم وعن وريثهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينيات من القرن التاسع عشر كل سلطانات وإمارات ومشيخات ودولات الجنوب العربي، من باب المنفذ غرباً إلى الشرق. ومنذ عام 1869 ظلت حضورموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة
الكثرى، إلى جانب سلطة المهرة، وسلطة الواحي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للاشراك محاولات عديدة لفرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطانات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالنزيف لاحتلال مناطق السلطنة والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والنفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام مشاكل وتعبر المصالح والنفوذ البريطاني، وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندما شعر الإنجليز بجدية حصار الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة الثمانية المركزية، في الباب العالي، وفي الفلسطينية، وتقدم إنذار شديد الدرجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتستحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام المقيم السياسي البريطاني في مستمرة عند تقليد الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالإسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلتها في إمارات الضالع وسلطة أحواش شبه مشيخة العلوى، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873م، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على تأسيس الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي سيطر عليها الأتراك البريطانيين في كل من اليمن والجنوب العربي في عام 1873م هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيين بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأن على الأتراك المسلمين على اليمن ومنذ عام 1873م عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة ذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترح تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت النفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت النفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إذنًا إلى الأتراك بسحب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلها، ولم استمروا منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.
خلال الحرب العالمية الأولى 1918 - 1914م: احتمام الصراع بين الأتراك والإنجليز، انحياز كل منهما إلى الطرف النقيض والمعادي في الحرب، وكانا في خط النزاع المباشر لتوافق الأتراك في الجنوب العربي، وتوافق الإنكليز في اليمن. في منتصف عام 1916 استخدمت الأولى معرفة البريطانية في حق مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحترقة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنكليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية، والتي دام حكمها خمسة عام، وأخذ اليمن الشمالي حاليا استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحيي بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حالياً وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعنين نفسه ماكيا لها ودخل اليمن، بعد عام 1918م، مملكة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مملكة الأتمة الزيدي، الممتدة خلال الفترة ما بين 1922- 1991م.

انتهى الحرب العالمية الأولى، وهم الأتراك في الحرب، وانسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أنْ الإنجليز خرجوا من الحرب متورطين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنتان ومشيخات دولات الجنوب العربي، لا بلو خرجوا من الحرب وهم سيطرمو على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة اللاجة، والحديثة اليمني الرئيس للمين، والذي سوف يكون السبب في توفر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلاً بإمامها، والإنجليز الموجودين في المدينة باليمن، والحاكمين للنجد العربي.

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني:

بإنتهاء الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحيي كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودولات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توثرت العلاقة بين الطرفين، نتيجة سيطرة الإنجليز على مدينة اللاجة ومدينة الحديدة اليمني الرئيس للمين، التي سيطر عليها بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحيي، وطلبته بتسيمها إليه، إلا أنه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإدريسي، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة اللاجة من مناطق الإدريسي فقد سلمت بريطانيا مدينة اللاجة إلى الإدريسي، وأبقت مدينة ومدينة الحديدة تحت سيطرتها، طيلة
سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، وانتقال الوقود. في عام 1929، عقد أعراف وسلاطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمرًا عامًا لاتهم بقيادة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغة تحالفية يمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفقروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوقفوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإنشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير 1959م الترتيب، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحي إمام اليمن بتفاقيمة ترسم الحدود الدولية، الموقعة في 1905 و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجذور العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهمد، عام 1937 وقعت إلى قسمين من المحميات، والمحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتم استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ مستشار بريطاني ينصبه في كل المسائل التي تخص إدارتها سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1943-1939م، كانت الحالة والوضع العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1943-1939م كانت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميون، بالقرب من حدود البلدان، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إذنًا شديد اللحمه. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لاتت生まれ الحلف البريطاني وهمية الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1962-1959م منهما، ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم يتسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتنوع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تتضمن إلى الانتفاضة ضد نظام الإمامة. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن، بين الجمهوريين في الحكم والملكين خارج الحكم.
في بداية الستينات من القرن العشرين أصبحت مدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وذلك، إلى نية بريطانيا في أن تبقى قواتها البحرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:
الأول: يتعلق بالإستراتيجية الدولية: فقد أصبحت عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمعسكر الغربي بأسره.
الثاني: يتعلق بالاستراتيجية البترولية: فمباشرة بعدن الذي يحمي أبار البترول في الخليج.
الثالث: بالإستراتيجية المحلية: لأن القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

آثار الاستعمار البريطاني الدينية:
في الوقت الحالي تنقص المادة الثانية من يستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، وتكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويعيد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشرعية الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعلى فن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات وتفسيرات الشرعية، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن يكون مؤدبا للأفراد الدينية، بينما شرط الإسلام واضح في شروط مرشح رئيسة الجمهورية.
وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99%، أي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشيعة الإثني العصمة. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي 60-70%، مقابل زيدية 30-40% وتوجد أقليات إسمايلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليبية وملكة أروي بنت أحمد.

الأقليات: هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة. ومع الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلاد الأصليين. ولليهود في اليمن شرعية باتهم من أمراء الصاغة ومن معاملهم يمانيونها. وكانت الأعراف والتقليد تمنع اليهودي، والمسلم غير اليهودي من ارتداء الجنباء.
وجاءت أقلية هندوسية صغيرة جداً في اليمن. ويوجد أربع كنائس في عدن تمثل الوجود المسيحي، الذين أغلبهم من الأجانب. وتقدر الجزيرة العربية القبل الناشئ لميثر ومائتا مسلم، ييعتنون عبر réseau الأرضية. وقد فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة، فتبث مدح الله الحرام، وإليه يرجع الناس كل عام، وعليه يتجهون في صلواتهم.
هذا الارتباط بين الإسلام دينًا والجزيرة العربية مكانًا، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرمون قديمًا في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء الثلاثة قرون. وحديثًا قالوا: لن تتوقف جهودنا وسعيينا في تنصير المسلمين حتى يرفع الصليب في سماء مكة، ويقم قدس الأخد في المدينة. من أجل هذا كله رك مننصروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يبحث بها، وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها ويتعددها في بلاد اليمن البوابية الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التفت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لنمو جديد هدفه تحقيق بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هبأت لعملية التنصر في اليمن هي:

1- انطلاق بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.

2- الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة الملموّمين بالقراءة والكتابة من البلغين 38%، وهي من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قد تصل بحوالي 50% من السكان.

3- التربة في الجانب الاقتصادي، وضعف البنك الدولي حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19% من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.

4- النظام الديمقراطي المفتوح، والدعم المعنوي الذي تلقاه المنظمات التنصرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.

5- عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من قيادات العمل الإسلامي.

6- الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تدنيًا في العالم؛ فالفقير والحم المتقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزويرها المطرد حيث وصلت إلى 15%، 9% لعام 1996م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المصابين بوباء الفيروس الكبيري يزيد على 3 ملايين مواطن.

7- ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراءة، لدى فئات كثيرة في المجتمع.

8- حسن معاملة النصارى للبسطاء والمتعاونين معهم في الشركات والمؤسسات.

9- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.
10- تعد واجهات العمل التنصيري بين: معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.
11- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وانحسار كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟


هذا النشاط يتبع منظمة تنصيرية تدعى: فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصري) لبولندا قريباً في عام 1951 م، والذي قضى سبع عقود قرابة هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو: الخيامون (وهم النصارى القادمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتدريب. إلخ.) وشعار هذه المنظمة: (الإسلام يجب أن يسمعنا، وهدها نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرف نفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية، ذات خليفة تنصيرية، مركزها الرئيسي في إنجلترا. وتجلس على الدعم من الكنيسة والأفراد ومنظمات العون التنصيري؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع نموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، باكستان، واليمن، وتانزيانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي.

وإستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلقم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات التنصيرية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوله داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً: الكنيسة ودور العبادة:
1- الكنيسة الكاثوليكية بالتوهاء: تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التوهي وعلى مقرها من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أمّا موقع كنسي تنصري تم افتتاحه في بداية
الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في مجمعة عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لانكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينة دبى بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، وقد ساعدت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعداد افتتاحها في عام 1995م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها، وذلك من خلال جهود سفريها السابق السيد ديفيد نيوتن، حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذى يقدم خدمات تكثر من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الراهبان والراهبات، الذين يعملون في العيادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

2- الكنيسة المعمدانية كريتر - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريتر بعدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانيه المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها، وبسبب ذلك إهال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

3- دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستثمار مبنى يقع في الحي السياسي، وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، وأداء بعض القداسات النصرانية كما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قداس يوم الأحد في المعهد الكنسي - في مدينة عدن. وهكذا فإن تشغيل هذه الخوضة يغطي محتاجات النصارى في المجمع السكني.

4- دور العبادة النصرانية بيفب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للنصارى، أو القيام بأداء صلاوات يوم الأحد بالكنيسة المعمدانية الملتحقة بالمستشفى. ويقوم الأسبوعية والراهبات بدور إنساني - على حد رعهم - وتنصبيها من خلال زيارة النساء والرجال ودور الأمتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، خلال سنوات عملها الطويل، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية، إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يمني.
ثانياً: النشاط الصحي:

- المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري، له نشاط تنسيقي، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يستر وراءه لأعماله النسائية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.

- جمعية من طفل إلى طفل: مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المسابحين بالعنف والخس؛ حيث استطاعوا أن يثيروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لدخولهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.

- منظمة أذا في منطقة حيس تهامة: "وهى نشيطه جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دولة نصرانية مثل: سنغافورة والكين، وكما تقوم بالحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مدينة النور، والقر، حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمريض والجهل، وكأن توقع النتيجة.

- المركز الصحي بالحديفة في شارع شمسان، يدار المجزة في شارع زيد، حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالسطاء، وتقدم العطاء والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديثة، خاصة في قسم اللغة الإنجليزية، حيث قاموا بوضع المنتج الذي يشوه الإسلام ويخرد النصيحة.

- جمعية رسائل المحبة. بعثة الإحسان: "يتمد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة، وخصوصاً بين المصابين بالجروح والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصرة الهندية للأم تريزا، وتمتلك الجمعية حالياً باعتناء بأربع عمانية مريض ومسن، خمسة وزائرين معوقين، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات، داران لرعاية المجزة بصنعاء وتعز، وتوفر عليها راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.

- جمعية أطباء بلا حدود وتستتر بالإغاثة، ولها نشاط تنسيقي.

- مخيم اللاجئين الصوماليين بالجيشين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين، حيث نسيهم إخوانهم المسلمين.

- منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأموات والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً: المنظمات الملاحية:
منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة وإنقاذ.
منظمة اليونسكو: وتدعم مشاريع التنمية الثقافية، وهدفها إزالة الخلافات بين المسلمين والنصارى.
منظمة رادا بارنر: وتدعم المشروعات التي تتعلق بالطفولة.

رابعًا: النشاط السياحي:
نشرت صحيفة الثورة -كمثال- في عددها رقم 12542 في 9/3/1999م، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر 9/3/1999م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجولهم داخل اليمن ومنها:

1. توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وقع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

2. توزيع مجلة باللغة العربية تسمى FISHERS، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

3. توزيع القصص المصورة النصرانية.

4. توزيع بعض الهدايا والتحاور التي تحمل شعار النصرانية، في صور مختلفة لكنائس عالمية.

5. النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

6. ومن أبرز نشاطاتهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وقع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام المحاضر يقوم المحاضر بتثقيف المستمعين الصلاة والترانيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً: النشاط التعليمي الثقافي:
واتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال: "التعليم في مدرستنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزال عقائد المسلم وانزواءه من فتى الثامن.

المعهد الكندي بصنعاء:
يتميز هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بثقة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وفقط منهجيته، وأقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دورة، ولا تزيد إعارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم، ومن مناهجهم:
التعامل الخلاق مع طلابهم، وتأثیرة الشهابات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافية مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطلبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تتسارع للمناصرين مهنئتهم، وتنشئ لهم التجول في اليمن بغض النظر عن العلم.

وتشارك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

1- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

2- منح دورات مجانية للمنفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبحيرة قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

3- مساعدة الطلاب الذين يعانون في مشاكل مالية أو نفسية.

4- القيام بالرحلات المختصرة لطلابهم.

5- إثارة الشهابات عن الإسلام.

أما دور المؤسسات تجار عمليات التنصر، فهنا نشاط خجول يحتاج إلى إذكاء كالجمال تحت الرماد، ومنه الأنثتسة التي قام بها مركز الدراسات الشريعة بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصر، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحرر الناس من خطر التنصر.

أما موقف الحكومة اليمنية: فيوضح لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلافية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدارة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998م. "لكن نتيجة الغضب الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات، إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة، كثيرًا ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في علوم اليمن."
وسائل التنصير:

الأولى: الخدمات الإنسانية: هم يقولون التمثيل، السلام، الديمقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل الإغاثة، الطب، المساعدات من أهم ما يتواصلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد وعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمّة المتحدة بمنظماتها، والبنك الدولي، مثلًا، منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنيسة العالمي وعملائه المجربين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية: التخريب الأخلاقي، فالكنسية ندار فيها الخمور، وتقام فيها الحفلات المجانية للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى التصرُّفات. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين، وسرهم لهم أسباب الفساد. يقولون: حاولنا أن نقف دونه، لكن عيبًا نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملابس، ولو بجوار المساجد، فقد بينون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فاكتشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية، ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة: توزيع الكتب والكتب والمجلات، والدوريات، والصحف التي تخدم التنصير، المخصصة لهذا الغرض. يشتري اللغات، ويستمد الأساليب، وفي ستة الموضوعات، مع تعتمد دس التشويه والكشف على مثل هذه الدروس والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقارير (الزمانات) وفي كل يوم توزى مرسومًا باسم الإنجيل مكتوبًا بخط جميلملونة وزهور، وأشياء أخرى تلقيت الاستنباط، وتشمل أيضًا الأعياد، أعيد للميلاد، الكريسماس، عيد الأضحى، عيد القيامة، إلى غير ذلٍّ يزيدون، ويخطو وزهور، وألوان، وصور بعدم أن تكون أو ليست، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصريفي في كل مجال وفي كل مكان، في الملايين، في السيارات، في الأواني، في الذهب، في كل شيء نتملئ كتاذ تجد صلبًا موضوعًا على عمد، وأحياناً الملائكة منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد من يزيد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذا الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولهو صناديق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها.

سادسًا: الرياضية: هناك خطة أن يتولى التصاريح العرب الإتصال والتنصير فردًا. هناك، وتوزيع النشرات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية في العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها.

سابعًا: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع.
فمن ذلك - مثلًا - منظمة فيلبينية تقصيرة اسمها: منظمة شادي، وكهنة شادي،
عندما بلغتهم مسؤولية: الله، هذه المنظمة تهم بشكل خاص بالمرضى والمكوين وأصحاب
الملابس النمسية الذين يواجهون صعوبات في حياتهم، والخريب في الأمر: أن هذه المهمة
لها نشأة اسمها: "شادي" ومجلس التخصص العالمي - وهو ربما، لغة سلطة مسؤولية عن
التنسيق - حشد الآلاف من المربيات - كما يقول رئيس إسرائيلية التصوير في الشرق الأوسط:
إن مجلس الكيانات العالمي أرسل الآلاف من المربيات والخدمات والممرضات والأطباء
والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين. "هم مصرون على أن يتحول المسلمون
عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيات، والخدمات، والممرضات، والأطباء،
والمهندسين. ويقول هذا المسؤول": إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي
تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثانياً: المراسلات: وهم من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهوئها وحصولها في الغالب
وإمكانية تداولها، وهي تعد الصدقات، وترجم الكتب، وأوراقه، والمنشورات، مجانًا إلى من يريد.

أثر الاستعمار البريطاني السياسي والاجتماعي:
أولا: الاستعمار السياسي:
تعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن
بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولا: دور القبيلة:
يكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة
منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق
الساحلية وشامها، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعه من القبائل
الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى
منطقة ومطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الأمطار التي وفرت
مصدر حيد من المشابرات والتمسك بالتصبيح القبلي. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق
والسلطة علاقة جيدة عن طريق المشابيح، وما رافق ذلك من تفصيف المشابيح بالرعية، والذي
أدى بدوره إلى علاقة عادلة بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكيك العلاقات
القلبية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق
الوسط هم من كبار ملالي الأرض والذي تجولوا في ما بعد إلى طبقة بريعوي، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطهان الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعيينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمته بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. تطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك القيادة الفردية، ولذلك ظهرت التحديات النزاعية كإحدى المناطق أكثر المناطق ميلاً للحزب، كنظام يعدل عن التنظيمات القبلية. وتتساقط هذه القبائل للحفظ على الهوية القبلية، والتي تقبع دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتقان المذهب الديني الذي يدفع الخروج على الوالي فقد ساعد تلك العوامل على أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الروساد الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبًا: حاشد وبكيل.

ويتضح أن المناطق المتصلة قبلياً تمكنت من الاستقرار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تشكل دولة داخل دولة وهذا كان النظام السياسي القائم على الجهوية، ومركزة الحكم في مناطق قبلي محدودة، بعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماسك القومي، ومن ظاهرة إخلال القبائل بالاستقلال السياسي في اليمن:

1. النزاع القبلي: فكثيراً ما تقوم الحروب والثارات القبلي في اليمن حيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (1907) حروب، وثارات قبلياً، وغالباً ما تكون تلك الثارات الناتجة عن ثقافة العنف المسلخ، ومشروط بتوافر الأسلحة الثقيلة والنسج والثبات، والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقعة 1979 حالة قتل في إطار النزاع القبلي خلال عام 2001 م في محافظات صنعاء، عمران، وذمار والبيضاء.

2. التغيرات الاجتماعية والتنافس المطرد للمعايير العرقية، وضعف الحكومة وأنباض السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتفاد التنافس بين الزعامة الدينية، غذى الصراعات القبلية.

3. الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.
الاختلافات القبلية: حيث تتجأ القبائل إلى عملية الاختلافات، كوسيلة متعارف عليها قليلاً، وكانت هذه الظاهرة مقصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يتجلد اختلاف أحد أفراد القبيلة وسيلة ضغط على القبيلة الأخرى، في قضية النزاع، وعند تطوير دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختلاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختلافات الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات، كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالباً ما تقدم القبائل على الاختلافات لعدة أسباب منها: الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام ببعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود لملكتهما لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على ذمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع مروع أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النافذة، أن يكون لهم نصيب في النفق المستخرج من مناطقهم.

وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التنمية الحزبية قد أعلنت عام 1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انعقد عنة مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني.

ثانياً: التقسيم الطبقي:

يعود التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقة تتوي إلى حميتة الصراع الاجتماعي، وتأتي المناهاج بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء الصراع.

ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب:

الأولى: تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالباً على أساس وراثة المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية: تضمن فئة السادة والقضاء والفقهاء.

والثالثة: وتحتوي ثلاث فئات متنافرة ومتداخلة هي: الأعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

http://Archivebeta.Sakhrit.com
والرابعة: تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفًا ومهنًا وضيعًا قيّمة تحرم الأعراف القبلية على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزازون، الحلاقون، الدواشين.
والخامسة: تضم فئة الخدام والبيهود.

والتفصيل الطبقي في اليمن يقوم على أسس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

لا أن التفصيل الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه أخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأخلاقية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والهرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقي، إلا أن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التفصيل الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحظى فئة مشاهق القبائل مملحة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتفصيل الطبقي في اليمن يطرأ عليه بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التفصيل الطبقي دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي. فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب يتقدم وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلابية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية تحت دور في خفض وطأة التفصيل الاجتماعي، عن طريق منح الموضوعية، والمناصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالبا استضافة مشايخ القبائل، واستماثتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تدرج في الطباق الدنيا في سلم التفصيل الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقية، والتفصيل الاجتماعي تنتشر في حجم المجتمع اليمني، فوفقاً للتفصيل الطبقي القائم على أساس قبلي، مثل بحيث التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لفرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أغلى منها وإن ألقى على ذلك فإنه يتعطر للقتل أو النفوق، وقد كشفت عن وجود حالات رق، وعبودية في محافظة بني مية وذروة استمرار حالة الرق والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتضييق في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهمشين من طبقة الإخوان في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأستذت هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمتلك قبالة مؤقتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى. إن التغييرات التي طارأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية
الخاصية:

وهكذا أريدنا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وباب المندب، إذن بجانب التنافس السياسي الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت أيضا تناصبا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلي من جهة أخرى. وأيضا كيف كانت الغلبة البريطانية إلا ثم أعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمير الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق. لكن لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وبيئات الإبادة، والجمعيات الخيرية - جد كبير، فيجب أن تتوجد الجهود. وأن يعمل الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها. أساليب الدعوة. فهذتنا ثمن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هدف هؤلاء المتصرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود يذكر بأي وسيلة.
المراجع

- بضرى الغيلي، حجة، محافظة الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التغيرات الحدثية وتحرير الاقتصاد أضعفا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ 2011/3/26م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي 2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعتي الجزائر ين يوسف بن خده، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م.
- جاد الله، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969م.
- جميلة العمري، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العيكان، 1421هـ.
- حسن خضيري أحمد، قيام الدولة الزيدية في اليمن، القاهرة، مكتبة مدبولي ط 11996.
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلها، بيروت، ط 1987م.
- خديجة الهيصص، سياسة اليمن في البحر الأحمر، القاهرة، مكتبة مدبولي ط 2002م.
- دستور الجمهورية اليمنية/الموازنة 107/64، نت 15 Feb 2004.
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية، 2004م.
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة، مكتبة مدبولي ط 2008م.
- عبد العزيز قائد المسعودي، اليمن المعاصر من القبلينة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006م.
- عبد اللطيف الحمدي، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط 1415هـ، الرياض.
- عبدالواسع الواسع، تاريخ اليمن المسمى شرقة الههم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط 1366هـ.
- عبدالواسع اليمني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط 1402هـ.
على الصراط، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن، 1992م.
قابوس، بغداد، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
مجلة الأسرة، العدد (83)، العدد (155) رجب 1421، أكتوبر 2000.
محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة، ما شاء الله وسمع وقرا.
محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، الرياض، 1402م.
محمد عرفة البيضاني، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ عام 1937م وحتى 1970م.
جمهورية اليمن الجنوبي الشعبية، دار الطباعة، بيروت، 1970م.
محمد محسن الظهراني، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية
جمهورية اليمن نموذجا القاهرة، مكتبة مدبولي ط4، 2001م.
محمد محسن الظهراني، الدور السياسي للقبيلة في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة، مكتبة مدبولي
ط4، 1996م.
المركز الوطني للمعلومات، بذرة تعريفية عن محافظة الضالع 2011.
المركز الوطني للمعلومات، بذرة تعريفية عن محافظة عدن 2011.
مسح آثار لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة - كربن - الموسم الأول (2004)، عداد الهيئة العامة
للآثار عدد. مسح في: صحيفة 26 سبتمبر/ رقم العدد: 1236: السبت 9 مارس - آذار 2013
ناصر محمد الطويل، الحركات الإسلامية والنزع السياسي في اليمن من الناحية إلى التنافس،
مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله وزعيم خارجية وشئون
وتقسيم الحكومة طاليف، يلت الشركاء دبلوماسي أمريكي
http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article-
section=12&news_id=9943
http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/
06.html
مجلة البيان، فصيلة عربية: الاختئاف في اليمن، المشكاة الآثار الحلول
http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731

عبد عابش، حروب الثارات في اليمن تؤدي بحياة المنافسة وتققل الأمن والسلام، مقال مسند من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 أبريل 2011 م
http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867
http://ar.wikipedia.org/wiki
http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049
http://wikimapia.org
http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024
http://www.oxfam.org/en/
http://www.sudanile.com


U.S state Department
